

فرادى لا كمجموعات ، رغم انهم كانوا منظمين سرىا ، وكثرتوا يحصلون اتاوات لقاء المهمة التي يؤدونها ، منهم من هذه الناحية شأنهم شأن غيرهم من اليهود في فلسطين كانوا يمدون ايديهم طلبا للاعانات والصدقات ، وهذا من الامراض النفسية في الشرق الاوسط ، لا سيما بين اليهود . وكان لدى الشومريم مبرر مقبول واكثر وجاهة لطفي الاعانات مما لدى الجماعات الطيلية الذين كانوا يعضون اوقاتهم جلوسا على مقاعد « البشيفاه » اي كتايب وتكايب الطرق الدينية اليهودية في القدس ، او اولئك المزارعين الذين كانوا يبتخرون دون عمل بحلة كاملة الاناسة من قمصان منشأة الباقات وربطات عنق ، واخذية لامة ، ويمضون سحابة نهارهم جلوسا يقرأون الروايات بلغة اليديش او العبرية ويصدرون اوامرهم الى من يعمل في خدمتهم من العرب : افعل كذا ، واعمل كيت ، ... ثم يقدمون الفواصر الى البارون روتشيلد والبارون هيرش لتسديدها . لم اصاف في فلسطين اي يهودي عامل ، فكنت اسمعهم يرددون طوال الوقت ، ليلا ونهارا ، اسم البارون روتشيلد والبارون هيرش . وكان موضوع الحديث في بيت عمي دائما هو : « ترى ماذا سيصنع البارون هيرش الان وهو لم يصنع هذا الى الان ولم يصنع ذاك » ، مع انه كان مندمم اراض واسعة وكانوا ينتجون منها عنبا ونمرا ويمضون نبيذا جيدا وينتجون الالاف المؤلفة من البطيخ الذي كانوا يبيعونه للعرب ، كما ان العرب بدورهم كانوا يبيعون لهم من محاصيلهم ، ولكن اليهود كانوا دائما يتوهمون « حلوكاه » هذه هي الكلمة بالضبط « حلوكاه » اي هبات واعانات ومنح مجانية دون مقابل ، فالعالم مدين لهم — منهم شعب الله المختار — كانوا دائما يعودون الى هذه النعمة . ان العالم يشمر بالفقيان والنقزز من الشعوب المختارة ، من الشعوب المفضلة على غيرها ، وكان هظر استقى عقيدته من توراتهم ليبرر مطالبه اللعينة واللااخلاقية واللائساقية في غزو اوروبا ومحاولته غزو العالم بأكمله والسيطرة عليه .

ولنعد مرة اخرى الى الورا ، الى ايامي في القدس ثم في يافا ، في الجننازيوم ، ان امتع الاوقات في السنوات الخمس التي قضيتها في الجننازيوم هي عندما كنا نؤخذ في ايام السبت — ليس نؤخذ بل نذهب الى البحارة العرب ، هيت يأخذوننا مقابل

ويتمتعون بشباب نياض كانوا الشومريم ، وقد قابلتهم اول الامر في القدس ومن ثم في يافا ، ونافرا ما كنت اصافهم انما كنت احتفظ لهم دائما باعجاب ومحبة . والشومريم تعني الحراس ، وكثرتوا يرتدون عادة اللباس العربي ويعتبرون بالكوفية والعقال ويتسلحون بمسدس يخفونه تحت رداثهم ويركبون الجياد . ووظيفة الشومريم هي حراسة المستعمرات اليهودية من البدو الذين كانوا يغزونها ويستولون على المحاصيل والمواشي ، وقد شهدت ، وانا صبي صغير ، اكثر من واحد من الاشتباكات بين البدو والشومريم اثناء زيارتي لعمي ، حيث تفرع الاجراس في برج روهوبوت ، نيهرع المزارعون راكضين او راكبين الخيل والحمير الى موقع الاشتباك بين البدو الفزاة الذين كان يشح عليهم الماء والطعام في اواسط الصيف فكثرتوا يهاجمون المستعمرات اليهودية على الاطراف لطلبهم بغوزون ببيض خالتهم من الماء والزاد . وما زلت اذكر جيدا احدى هذه الاشتباكات التي كانت تحدث من حين الى اخر ، حيث يعود بعض الرجال الى المستعمرة من موقع الاشتباك والدماء تسيل من جباههم وانوفهم ووجوههم ، اذ لم يكونوا مجهزين بأية تجهيزات للاعمال الاولية ، وكثرتوا يأتون الى المستعمرة لطلبهم يجدون طبيبا يداويهم . وكان هؤلاء الشومريم يتجولون ، ليلا ، على ظهور الخيل فرادى او ازواجا او ثلاثا ويطوفون في ارجاء المستعمرات وكثرتوا فتيانا شجعانا تشع الشجاعة من ملامحهم . وكثرتوا ماهرين في الرماية ويتكلمون العربية بطلاقة كما كثرتوا فتيانا مشويبي العواطف ينافسوننا في مازلة الفتيات ، لانه ما ان تقع انظار الفتيات على احد الشومريم مارا في المستعمرة حتى نصبح نحن صفرا . وكان الشومريم هؤلاء يملتون صورة اليهودي الرومنطقي وباكورة القوميون الذين اخذوا يتوافدون على فلسطين . وبعد ذلك اخذ هؤلاء القوميون ينظمون انفسهم في مزارع جماعية ، اذ لم تكن كلمة كيبوتزات قد استحدثت بعد ، وكان بن غوريون احد الذين ساهموا في عملية التنظيم هذه .

لم يكن هناك شعور معاد لليهود لدى العرب سواء كان من البدو او القرويين او التجار ، وما تطرقت اليه في حديثي انما هو مظهر من مظاهر الخلف في الشرق الاوسط . لم تثر الريب لدى العرب بأن اليهود كثرتوا قوميين صهيونيين الا بعد اعلان وعد بلغور . وكان الشومريم يتجولون بين المستعمرات